

مراجعات الكتب

عنوان الكتاب: "الأصولية اليهودية: فرنسا، إسرائيل، الولايات المتحدة"

المؤلف إيمانويل هيمان، ترجمة سعد الطويل، مراجعة د. جمال أحمد الرفاعي، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠١٢م.

هذا المؤلف يعد واحداً من بين أهم الكتب التي تتناول ظاهرة الأصولية الدينية اليهودية في كل من فرنسا وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية. ومن المعروف أن هذا المصطلح أحد المصطلحات الأكثر غموضاً في الدراسات الاجتماعية والسياسية والدينية في العصر الحاضر، كما أن يقع في إطار اهتمامات مجالات عديدة ضمن العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولعل هذا الغموض يعد سبباً من الأسباب التي أدت للدعوة إلى المشروع الخاص بدراسات الأصوليات المعاصرة في الولايات المتحدة الأمريكية، فهناك اختلافات في دلالة المصطلح ذاته بين اللغات المختلفة، كما أنه لا يمكن فيه الحديث عن أصولية ذات اتجاه واحد، ففي مقابل أن هناك أصولية دينية أو أصوليات دينية، فهناك أيضاً أصوليات علمانية، وربما كانت الأولى في جانب من جوانبها رد فعل للثانية، فأصوليات العالم الثالث رد فعل للأصوليات الغربية الليبرالية على تنوعها واختلاف توجهاتها، لأنها تمسك بموقف يحاول الإنسان فيه أن يتكيف مع واقعه الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي بالمعنى التقليدي، إضافة إلى حرفية النصوص المقدسة، القول بعصمة الكتاب المقدس، ورفض كل ما أنتجته الليبرالية والحداثة، وما يرتبط بذلك من جمود، ورفض للتسامح، وكراهية للتعايش مع الآخر، إضافة إلى التصلب والعناد،

والمحافظة، ومعارضة كل تطور. وهنا فإن الأصولية اليهودية لا تختلف في جوهرها عن أية أصولية دينية أخرى: مسيحية أو هندوسية أو بوذية أو جينية وغير ذلك. ويهدف هذا الكتاب إلى إعادة قراءة التاريخ اليهودي من وجهة نظر معاصرة، وذلك من أجل التعرف على جذور الأصولية اليهودية، ويرى هيمان هنا أن أول مظاهر الأصولية اليهودية تعود إلى العهد القديم العبري ذاته، في تلك الحادثة المسجلة في سفر الخروج، التي أمر فيها موسى عليه السلام بقتل العجل، وبناء على ذلك قُتل عدد من الناس الذين عبدوا العجل لامتصاص غضب موسى عليه السلام، الذي شعر بالهانة لتكر شعبه له بهذه السرعة، وتحوله من عبادة الله تعالى إلى عبادة الأصنام. ويحاول المؤلف هنا في إطار قراءته للتاريخ اليهودي أن يرصد كافة مظاهر الأصولية فيه، مركزاً على ذلك بين الفكر الأصولي اليهودي وبين الحداثة والديمقراطية، وليس هناك توقف عند قراءة النصوص فحسب، وإنما أيضاً هناك متابعة لهذه التيارات الأصولية المتشددة في كل من فرنسا وأمريكا وإسرائيل، موضحاً ذلك التعارض بينها وبين مسيرة التقدم البشري، إذ تقف هذه الأصوليات في مجملها بالتاريخ عند مرحلة زمنية معينة، رافضة لفكرة التقدم الإنساني، وكل ما أنتجته الحضارة المعاصرة.

والكتاب الذي بين أيدينا جاء في ثماني فصول، يسبقها تمهيد، ويعقبها خاتمة للكتاب، وذلك على النحو التالي، ففي التمهيد تناول المؤلف ما يسميه الأوجه المختلفة للتوحيد، وجاء الفصل الأول بعنوان: "نهاية العالم للسيكارين (حملة الخناجر) أو جذور الأصولية"، والفصل الثاني بعنوان: "العودة إلى الجيتو أو صعود الأرثوذكسية في فرنسا"، وجاء الفصل الثالث بعنوان: "للتقابل العام القادم في أورشليم"، والرابع بعنوان: "أبواق صهيون"، والفصل الخامس بعنوان: "على

طريق أبراهام"، والسادس "دبابات الإيمان"، والسابع عنوانه: "الكلاشنكوف ونير الرب"، والثامن " في أعقاب المسيح المنتظر"، ثم خاتمة تناول الباحث فيها " المستقبل من منظور الماضي".

وربما تأتي أهمية الكتاب بالنسبة للعالم الإسلامي من طبيعة العلاقة بين الأصوليات اليهودية المعاصرة وبين المسلمين، وخصوصاً في فلسطين المحتلة، مما يعطينا فكرة جوهرية ومهمة عن الموقف اليهودي المعاصر مما يتصل بما يسمى مفاوضات السلام، وطبيعة العلاقات العربية الإسرائيلية، والكيفية التي ينظر بها القادة الإسرائيليون للعرب على جهة العموم، فالعرب - أصحاب الأرض والمقدسات الإسلامية - هم غزاة محتلون لهذه الأرض، ولا بد من العمل على طرد المحتلين من هذه الأرض (انظر، ص ١٣٧). ومما يلاحظ على الكتاب أنه عند حديثه عن حركات الإحياء الديني في العالم الإسلامي، وبالذات في الجزائر، استخدم نفس المصطلحات التي استخدمها في حديثه عن الأصولية اليهودية، على الرغم من الاختلاف الشديد بين الإحياء الإسلامي وبين الأصولية سواء كان يهودية أو مسيحية أو هندوسية، وهو الأمر الذي تم التعرف عليه مؤخراً في حقل العلوم الاجتماعية والسياسية، وبناء عليه عرض الكثير من الباحثين استخدام مصطلح الإحياء الإسلامي بدلاً من الأصولية الإسلامية، نظراً للاختلاف الشديد بين محتوى هذين المصطلحين، وربما كان السياق الذي ربط فيه بين هذين النوعين يتعارض تماماً مع ما يهدف إليه، فجهة الإنقاذ وصلت للحكم في الجزائر عبر آليات الديمقراطية الغربية التي تمثلت في نظام الانتخابات التشريعية، فهي تفاعلت مع هذه المنتجات السياسية الحديثة، ولم ترفضها، على العكس مما نجده في الأصوليات الدينية. وبالإضافة إلى ذلك فإن اهتمام المؤلف بتأثيرات هذه

الأصوليات على توجيه السياسات الخارجية لهذه الدول جاء إلى حد كبير ضعيف، كما أنه لم يتجه إلى بيان الفوارق بين هذه التجمعات الأصولية اليهودية في هذه البلدان الثلاث، وأسباب الاختلافات الموجودة بينها، تلك التي تعود إلى اختلاف البيئات السياسية والاجتماعية والثقافية في هذه البلدان الثلاث، كما أن تنوعات هذه الأصولية اليهودية جاء ضعيفاً إلى حد كبير في هذا الكتاب.